النزعة الوجودية في فكر التوحيدي

د. ريهام أبوالمعاطي

مدرس بقسم الفلسفة

كلية الآداب، جامعة بورسعيد

rehammaaty@gmail.com

doi: 10.21608/jfpsu.2022.156872.1225

النزعة الوجودية في فكر التوحيدي

مستخلص

إذا قيل أن القرن الرابع الهجري يعد قرن نضج المعارف الإسلامية فإن التوحيدي خير من يمثله ، وفي ضوء دراسة فكر التوحيدي من خلال كتاباته المختلفة وجدتُ آثارًا للمذهب الوجودي في فكره، وهذا ما سوف أوضحه من خلال دراستي، فالوجودية تبدأ من الأنا وتنتهي بالبحث في الوجود الأصلي والبعد عن الوجود الزائف، واهتم التوحيدي بالوجود الإنساني ومشاعره وتجاربه وتطلعاته، وقدَّم مشكلة الإنسان على ما سواها من المشكلات، بحيث يمكن القول أن فلسفته ذات اتجاه إنساني ينبع من فكر الإنسان .

ومن خلال دراسة التوحيدي سوف أحاول اكتشاف المواقف التي تعرض لها وعرض آرائه في أهم الموضوعات السائدة عند جميع الفلاسفة الوجودين هي مثل القلق ، اليأس ، الاغتراب، وهي موضوعات لم تناقشها الفلسفة التقليدية بإسهاب.

الكلمات المفتاحية: النزعة الوجودية، التوحيدي، الوجودين، اتجاه إنساني، المعارف الإسلامية.

Existentialism in al-Tawhīdī's Thought

Abstract

If it is said that the fourth century AH is considered the century of maturity of Islamic knowledge, then al-Tawhīdī is the best representative of it. In the light of studying al-Tawhīdī's thought through his various writings, I found traces of the existential doctrine in his thought, and this is what I will explain through my study. In essence, existentialism begins with the ego and ends with the search for original existence and distance from false existence. al-Tawhīdī was concerned with human existence, his feelings, experiences and aspirations, and he gave priority to the human problem over other problems. Accordingly, it can be said that his philosophy has a human direction that stems from human thought.

Through the study of al-Tawhīdī, I will try to discover the situations that he was exposed to and present his views on the most important topics prevalent among all existential philosophers, such as anxiety, despair, and alienation. These topics were not discussed in traditional philosophy at length.

Keywords: Existentialism, al-Tawhīdī, existentialists, humanism, Islamic knowledge.

تمهيد:

إذا قيل أن القرن الرابع الهجري يعد قرن نضج المعارف الإسلامية؛ فإن التوحيدي(*) خير من يمثله، لقد تنوعت مصادر ثقافته، والسبب في ذلك أنه تتلمذ على يد شيوخ من مذاهب مختلفة، وكان من أهم المجالس التي أثرت في ثقافته مجلس أبي سليمان السجستاني. فقد كان من أعضائه يحيى بن عدي _تلميذ الفارابي _ ويظهر أثره على التوحيدي واضحًا في كتاب المقابسات، ومن أعضاء المجلس أبو سليمان عالم المنطق الذي فرضت عليه ظروف مرضه _ البرص_ أن يكون منزله وجهة أهل العلوم القديمة، وكانت علاقة التوحيدي به وثيقة؛ فقد كان جاره ولصيقه ومجاوره، كما أنه قد عرف نتاج سابقيه في النقد والبلاغة وغيرهم من الفنون وتناوله إما بالإعجاب أو بالهجوم، "وكان متفننا في جميع العلوم، من النحو واللغة والشعر والأدب والكلام"، كما أنه سافر إلى العديد من البلدان؛ لذا لا أغالي إذا قلت أن معرفته بعلوم عصره كانت معرفة متخصص.

وفي ضوء دراسة فكر التوحيدي من خلال كتاباته المختلفة وجدتُ آثارًا للمذهب الوجودي في فكره، وهذا ما سوف أوضحه من خلال دراستي، فالوجودية تبدأ من الأنا وتنتهي بالبحث في الوجود الأصلي والبعد عن الوجود الزائف، واهتم التوحيدي بالوجود الإنساني ومشاعره وتجاربه وتطلعاته، وقدَّم مشكلة الإنسان على ما سواها من المشكلات، بحيث يمكن القول أن فلسفته ذات اتجاه إنساني ينبع من فكر الإنسان.

وهذا يتضح في العديد من مؤلفاته ولكن سوف أركز على (الصداقة والصديق)، (الهوامل والشوامل)، (الإمتاع والمؤانسة)، (المقابسات)، وأخيرًا (الإشارات الإلهية) حيث إنها من أفضل الآثار المعبرة. وفي ثنايا هذه المؤلفات تعبير عن مشاعره ابتداءً من حرمانه واحتياجه إلى الصديق وتطلعه إلى مكانة عند الوزراء، وإلى الحصول على متع الدنيا والحرص على أن ينال منها كل ما يستطيع وتساؤلاته المعرفية المستمرة، ثم التوجه

---

* اختلف القدماء في تاريخ ميلاد التوحيدي ما بين عام (٣١٠ هـ ٩٢٢م) وعام (٣٢٠ هـ ٩٣٢ م) اختلفوا في الموطن الذي نشأ فيه، فقيل شيرازي، وقيل واسطس، وقيل نيسابوري، وقيل بغدادي، بل لقد اختلفوا حتى في تاريخ وفاته ما بين عام (٤٠٠ هـ١٠٠٩ م) وعام (٤١٤ هـ ١٠٢٣ م) محمد عمارة: أبو حيان التوحيدي بين الزندقة والإبداع، نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٧ م.

إلى الله بعد شعوره باليأس والفشل والعجز والتوق العاطفي والغربة وهو ما عبر عنه في تساؤله "أين البال الرخي، والفؤاد الذكي، واللسان الحليف والصديق المساعد......".

وفي النهاية كفَّ عن التساؤل وراح ينظر في نفسه ويشرح حاله ويواجه نفسه وأدرك أنه كما قال: "حالي فسيئة كيفما قلبتها لأن الدنيا لم تؤاتني لأكون من الخانعين فيها، والآخرة لم تغلب علي فأكون من العاملين لها"[١]، فكان كتاب (الإشارات الإلهية) وكأنه يوميات مريد يسجل محاولاته المستمرة في ترويض نفسه ومجاهدتها، فقد حفل الكتاب بالأدعية الصوفية والزهد والمناجاة والدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي، وأظن أن اغترابه هو السبب الأساسي لهذا الكتاب أولًا، ولاتجاهه إلى التصوف ثانيًا، فقد أصبح غير قادر على التصدي ومواجهة مجتمعه بما فيه من فساد فتوجه إلى الله الذي وجد في كنفه إشباع لحاجته الروحية.

منهج الدراسة

لقد استخدمت فى هذه الدراسه اكثر من منهج ، فاستخدمت المنهج التاريخي وذلك للتعرف على ظروف عصره السياسيه والتى كان لها اكبر الاثر فى تكوين افكاره ومواقفه الوجوديه المختلفه ، والمنهج التحليلي وذلك لتحليل آرائه وافكاره في مؤلفاته ، كما استخدمت المنهج المقارن وذلك لمقارنه افكاره بافكار فلاسفة العصر الحديث الوجوديين امثال كيركجور ، جون ديوي ، تيليش ، كفكا وغيرهم للوصول الى مدى تشابه افكارهم.

الدراسات السابقة

لقد تعددت الدراسات حول ابو حيان التوحيدي التي تناولت حياته ومؤلفاته بالتحليل والدراسة والنقد ، ولكن القليل منها القى الضوء على وجوديه التوحيدي مثل د/ بركات محمد مراد (ابو حيان التوحيدي مغتربا)، د/ عثمان سليمان موافى (أبو حيان التوحيدي ناقد اجتماعي) ، د/ حميد رضا (ابو حيان التوحيدي بين النزعة العقلية والاتجاه الصوفي) ، د / ماهر شفيق فريد (التوحيدي كاتب الخبرة الوجودية) ، د/ سليمان تركى

١أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية، حقق وقدم له د/ عبد الرحمن بدوي، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٠م، جـ١، ص ١٨.

سليمان (مظاهر الاغتراب في ادب التوحيدي) ،د/ادوار الخراط (كتاب الغربة وابو حيان التوحيدي)

تساؤلات الدراسة

في هذا البحث سأحول ايضاح إلى أي مدى ترددت أصداء المذهب الوجودي في فلسفة وفكر التوحيدي وذلك ما سأحاول تلمسه من خلال عرض مفهومه عن الاخر وإلى أي مدى كان للاخر فى حياه التوحيدي أكبر الأثر في تشكيل مواقفه الوجودية المختلفة، بالإضافة إلى عرض مفهوم الاغتراب ومعرفة كيفية نجاته منه ومدى اتفاقه أو اختلافه مع الفلاسفه الوجوديين.

يتألف هذا البحث من أربعة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: النزعة الوجودية عند أبي حيان التوحيدي والتي تتضح من خلال مناقشة أمور يهتم بها الفلاسفة الوجوديين أكثر من غيرهم موضوعات تتعلق بالمشاعر الإنسانية والعواطف مثل القلق، الانتحار، اليأس.

المبحث الثاني: الآخر، وفي ضوء ذلك سوف أوضح رأيه في الآخر سواء أكان ممثل في الأسرة، أو الصديق، أو المرأة، أو الجمهور والعامة، أو السلطة ومدى قرب آرائه في هذه النقاط من بعض فلاسفة الوجودية.

المبحث الثالث: اغتراب التوحيدي الوجودي.

المبحث الرابع: أهم معالم التصوف عند التوحيدي، وأهم رسائله في التصوف وعلاقته بالاغتراب.

المبحث الأول: النزعة الوجودية عند أبي حيان التوحيدي

بالنظر إلى أبي حيان التوحيدي يمكن أن يُعد فيلسوفًا وجوديًا رغم أن فلسفة كيركجورد أول صورة كاملة لها، فالوجودية أحدث المذاهب الفلسفية وفي الوقت نفسه هي من أقدمها؛ لأن العصب الرئيسي للوجودية هو أنها فلسفة تحيا الوجود وليس مجرد تفكير في الوجود. والأولى يجدها صاحبها في تجاربه الحية، وما يعانيه في صراعه مع الوجود في العالم _ هذا ما ينطبق على فيلسوفنا _، أما الثانية فنظر مجرد إلى الحياه من خارجها وإلى الوجود في موضوعه [1].

والوجودية تقوم بالبحث في مسألة الوجود الإنساني وعلاقته بالوجود الخارجي وموقفه من هذا الوجود، تنحو نحو تركيز الانتباه على بعض الموضوعات دون غيرها..... وهذه الموضوعات تختلف عن الموضوعات التي تشغل بال الفيلسوف عادةً، فعلى حين مثلا أن مشكلات المنطق ونظرية المعرفة تبدو ضخمة في المدارس الفكرية الأقدم من الوجودية، فإن الفيلسوف الوجودي يميل إلى إهمال هذه المشكلات في شيء من الاستخفاف، والموضوعات السائدة عند جميع الفلاسفة الوجودين هي موضوعات مثل الحرية واتخاذ القرار والمسئولية. وهناك موضوعات أخرى تتكرر لدى الوجوديين من بينها التناهي، الأثم، الاغتراب، اليأس، الموت وهي موضوعات لم تناقشها الفلسفة التقليدية بإسهاب، في حين أنها تعالج بالتفصيل عند الوجوديين [2].

وبالنظر إلى معظم فلاسفة الوجودية نجد أن معظمهم كانوا أدباء انتهجوا النهج الوجودي في رسم رؤاهم وتحليلاتهم مثل: سارتر الذي كان له عدد كبير من القصص والروايات والمسرحيات منها الأيدي القذرة، ألبير كامي فيلسوف العبث ومن أهم رواياته الطاعون والموت السعيد، جبرييل مارسيل، وكذلك كان التوحيدي فقد عرف بعبقرتيه الأدبية. فنجد أن حسه الأدبي والفني واضح في كتاباته خاصة كتاب المقابسات، فقد صاغ فيه الأفكار المتنوعة بأسلوب أدبي.

١عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠ م، ص ٢٠ .

جون ماكوري: الوجودية، ترجمة د/ إمام عبد الفتاح، مراجعة د/ فؤاد زكريا ، عالم المعرفة ،١٩٨٢م ، ص ١٩. ٢

فقد كان علم من أعلام الحركة الفلسفية الأدبية، فقيل عنه أنه: "فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة"[١]، فهو أديب فيلسوف يعلم أن في كل محسوس ظلًا من المعقول، وأن الحسيات معابر إلى العقليات فليس بِدعًا أن نراه يمزج الحس بالعقل والأدب بالفلسفة؛ لكي يخرج لنا من ذلك ثقافة حرة يرتاح لها المتأدب، ولا ينفر منها المتفلسف"[٢].

إن وجودية التوحيدي هي نفسها التي صاغها ماكوري "أسلوب في التفلسف، أسلوب يمكن أن يؤدي بمن يعتنقه إلى مجموعة من الآراء شديدة التباين حول العالم وحياة الإنسان فيه"[٣].

وأولى هذه السمات التي تتميز بها الوجودية كونها (أسلوب في التفلسف) أن هذا الأسلوب يبدأ من الإنسان لا من الطبيعة، فهو فلسفة عن الذات أكثر منه فلسفة عن الموضوع..... فالفيلسوف الوجودي يفكر بانفعال عاطفي كمن اندمج كله في الوقائع الفعلية للوجود[٤]، وأدلُّ واقعة على ذلك هي إحراق كتبه بسبب يأسه من مجتمعه وشعوره بعدم استحقاقهم علمه.

فهو يهتم كثيرًا بالإنسان ومشاعره وتجاربه وتطلعاته، ومما يدل على اهتمامه بالوجود الإنساني وتقديمه مشكلة الإنسان على ما عداها من المشكلات قوله في الإشارات "زعمت الحكماء على ما أوجبته آراؤها ودياناتها أن من الوحي القديم النازل من الله قوله للإنسان اعرف نفسك، فإن عرفتها عرفت الأشياء كلها. وهذا قول لا شيء أقصر منه لفظا، ولا أطول منه فائدة ومعنى"[٥].

وبالنظر إلى فلسفة التوحيدي نجد أنها تجسيد لمفهوم الفردية التي تعني "ما يتميز به فرد عن آخر من الصفات الجسمية والمعنوية كبنيته، ومزاجه، وحساسيته، وذوقه، وأفكاره، وكل ما من شأنه أن يجعله ذا خلق فريد وطابع خاص"[٦]؛ أي أنه التوجه الذي

١ياقوت الحموي: معجم الأدباء "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، تحقيق د/ إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ١٩٩٣ م ، جـ١٥، ص ٥.
٢ زكريا إبراهيم: أبو حيان التوحيدي، "أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء"، المؤسسة المصرية العامة، ص ١٤.
٣جون ماكوري: الوجودية ، ص ١٧.
٤جون ماكوري: المرجع نفسه، ص ١٧.
أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية ، ص ٣٩٤ . ٥
٦جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، الجزء الثاني، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م ، ص ١٤٠.

يشدد على فكرة استقلالية واعتماد الفرد على نفسه في اتخاذ قراراته حتى وإن عارضت هذه الأهداف المؤثرات الخارجية (الدولة، المجتمع، أو المؤسسات).

ويقترب التوحيدي من جون ديوي ورأيه عن الفرد في كتابه (الفردية قديمًا وحديثًا) الذى يدور حول التأكيد أن الفردية منيعة لا يمكن قهرها ولا تتراجع أمام العقبات التي تفرض عليه من قبل الأفراد أو السلطة أو المجتمع ككل.

وسمة أخرى يمتاز بها الفيلسوف الوجودي أنه يهتم بموضوعات لا يتعرض لها كثير من الفلاسفة وأغلبها موضوعات تتعلق بالمشاعر الإنسانية والعواطف مثل القلق، الانتحار، اليأس، الاغتراب وغيرها من الموضوعات التي سوف نلتمسها في فلسفة التوحيدي.

الانتحار:

رغم ضيقه ويأسه من الحياة وخيبة أمله من الناس عندما تحدث عن الانتحار نجده يدين هذا الفعل شرعًا وعقلًا، ورأى أنه من أسبابه "إخفاق يتوالى عليه، فقر يحوج إليه، حال تتمنع على حوله وطوقه، وباب ينسد دون مطلبه أو مأربه، وعشق يضيق ذرعًا به ويبعل في معالجته"[(١)]، ولكنه يلتمس العذر لهذه النفوس الشقية الضعيفة، فرغم تعلقها بالحياة وهو ما يثير دهشته "لمَّا اشتدَّ عشق الإنسان لهذا العالم حتى لصق به وأثره وكدح فيه، مع ما يرى من حروفه ونكباته، وزاله باهله"[(٢)]، وميلها الشديد نحو البقاء ، ولكن فمع ذلك تقدم إلى التخلي عنها وإزهاقها.

وحينما سُئِل عن رأيه في انتحار شيخ ضاق رزقه واشتد نفور الناس منه مما دفعه إلى الانتحار أنه كان لا ينبغي أن يستسلم وأن يستمع لصوت العقل فالله هو مالك هذا البدن ولا يحق له أن يزهق روحه.

ويرى أن الانتحار فعل يتصف بالتناقض بداية من أن القاتل هو المقتول "من قتل هذا الانسان؟ فإذا قلنا: قتل نفسه، فالقاتل هو المقتول، أم القاتل غير المقتول، فإن كان أحدهما غير الآخر فكيف تواصلا مع هذا الانفصال؟ وإن كان هذا ذاك، فكيف تفاصلا

---

١ . أبو حيان التوحيدي وابن مسكويه: الهوامل والشوامل، مؤسسة هنداوي سي أي سي ، ٢٠١٧م ، ص ١٤٧
٢ . أبو حيان : الهوامل والشوامل ، ص ٢٤٣

مع هذا الاتصال؟"[١]، بالإضافة إلى أن الإنسان يريد أن يتخلص من مشاكله ويتحرر منها فيقدم على هذا الفعل للشعور بالراحة وهنا يظهر التناقض، فالنفس المقتولة لا تشعر ولن تدرك نتيجة فعلها فيصل إلى العدم لا للخلاص والتحرر من المشاكل، "لِمَ سهل الموت على المعذب مع علمه أن لا حياة معه وليس بموجود فيه"[٢]، كما أنه يرى أن المنتحر ربما أوقع نفسه في شقاء آخر أعظم مما كان فيه وأدوم وأبقى.

القلق:

فى الوجودية يعد "القلق" ظاهرة محورية تسعى إلى حل ألغازها[٣] ، اذ ان القلق له علاقه بالذى يمكن للانسان ان يفعله وحين تتم مواجهه هذه الامكانيه ينغمس الانسان فى القلق وهذا ما حدث مع التوحيدي .

يرتبط القلق بموضوعات ثلاث: المستقبل وإمكانات الذات وحرية الذات، وهذه الموضوعات أكثر ما أرق التوحيدي، ونجد أن فكار التوحيدي قد تقاربت مع أفكار (تيليش) في كتابه "شجاعة الكينونة" الذي تحدث فيه عن مفهوم الشجاعة، وكيف أنه لا يمكن فهمه وإدراك قيمته إلا في علاقته بالقلق، وما يعنينا هنا هو تقسيم تيليش القلق إلى ثلاثة أنواع، وبالنظر إلى النوع الثالث "قلق الخواء واللامعنى" نجده لا يختلف عن قلق التوحيدي، فقد عرفه تيليش بأنه ينشأ عن موقف تفشل فيه الذات في أن تجد إشباعا من خلال المشاركة في مضمونات حياته الحضارية والثقافية فتفتقد معتقدات الإنسان واتجاهاته وأنشطته معناها.... ويصل الخواء ذروته في قلق اللامعنى، ويشعر الإنسان أنه لم يعد يستطيع أن يمضي قدمًا لا في تأكيد مضمونات حضارته ولا في تأكيد قناعته الشخصية [٤].

وهذا نفس نوع القلق الذي كان يعاني منه التوحيدي قلق من الوحدة لفقد الصديق والولد، فقد افتقد كل مؤنس وصاحب، ويتضح قلقه في العديد من العبارات (أيها السيد أقصر تأميلي، ارع ذمام الملح بيني وبينك، تذكر العهد في صحبتي)، (خلصني أيها

---

١ أبو حيان : المصدر نفسه ، ص ١٤٩.
٢ أبو حيان : المصدر نفسه ، ص ١٨٥ .
٣ مجاهد عبد المنعم : كيركجارد ، مكتبة دار الكلمة ، ٢٠١٦م ،ص٧٥ .
٤ يمنى طريف الخولي : الوجودية الدينية "دراسة في فلسفة باول تيليش "، مؤسسة هنداوي سي أي سي ، ٢٠١٧ م ، ص ٩٠

الرجل من التكفف، انقذني من لبس الفقر، اطلقني من قيد الضر، اشترني بالإحسان، اعتبدني بالشكر، استعمل لسان بفنون المدح)، وهذا ما دفعه إلى الهروب إلى الله "وكيف نبرأ من هذه الأمراض وقد بتنا في معادن البلاء ودعينا في بلاد الفناء"[١].

وكذلك كيركجورد يفرق بين الخوف والقلق اللذين يختلطان لدى عديد من علماء النفس في عصرنا، والقلق حسب رأي كيركجور "مختلف تمامًا عن الخوف والانفعالات المماثلة والتي لها ارتباط بموضوع محدد في حين أن القلق هو حقيقة الحرية على أنها إمكانية الإمكانية[٢].

وبالنظر إلى أنواع القلق لديه ومسبباتها نجد أنه لا يختلف عن القلق الذي نجده في مؤلفات التوحيدي، فقد ميز بين نوعين من القلق: القلق الموضوعي والقلق الذاتي، وهي تفرقة تعتمد على القول بأن هناك ارتباطًا وثيقًا بين الفرد والجنس البشري. أما القلق الموضوعي فهو يشير إلى تأثير الجنس البشري على الفرد، في حين يشير القلق الذاتي إلى تأثر الفرد واستجابته لهذا التأثير[٣].

وهذان النوعان بالنظر إليهما نجد أنهما مسببات اغتراب التوحيدي؛ لأن أساس غربته يتمركز حول موقف الآخرين منه وهذا ما سبق وأوضحته ، اما بالنسبه للقلق الذاتى لم يشعر من المحيطين به سوى بالاحتقار والإهمال وغيرهما من المشاعر السلبية التي أوصلته لهذه الحالة، حيث يقول "لقد صحبت الناس أربعين سنة، فما رأيتهم غفروا لي ذنبًا ولا ستروا لي عيبًا ولا حفظوا لي غيبًا ولا أقالوا بي عثرةً، ولا رحموا لي عبرةً، ولا قبلوا مني معذرةً، ولا فكوني من أسرةٍ، ولا جبروا لي من كسرةٍ، ولا بذلوا لي نصرة"[٤]، ومن قوله هذا يتضح تأثير الآخرين عليه والذي دفعه لأن يكون غريب بين الناس الذي يصفهم بأنهم "سباع ضارية، وكلاب عاوية، وعقارب لساعة، وأفاعٍ نهاشة"[٥]، وليس المقصود هنا غربة مكانية بل غربة وجودية، فهي تفاعل مع الحياة وموقف منها كما سوف أوضح فيما بعد.

أبو حيان : الإشارات الإلهية، ص ٥٥. ١

مجاهد عبد المنعم: كيركجارد ، ص ٦٧. ٢

إمام عبد الفتاح : كيركجورد رائد الوجودية، الجزء الثاني، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م ، ص ٣٥٠ . ٣

٤أبو حيان التوحيدي: الصداقة والصديق، تحقيق وتعليق د/ إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر، بيروت ، ١٩٩٨م ، ص١٠ .

زكريا إبراهيم: أبو حيان التوحيدأ اديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، ص٨٢. ٥

الندم:

وقبل إيضاح رأيه في الندم عن الأفعال يجب التنويه أن التوحيدي قد شعر بالندم الشديد وذلك بعد أن كاشف نفسه مكاشفة النصوح، وأخذ يعاتب نفسه على الانشغال بالدنيا والالتجاء الى الخلق التى افسدته فساد ظن انه لا يوجد معه صلاح قائلا: "قد والله فسدت فسادًا لا أرجوك معه لفلاح؛ ولذلك ما أدري بأي لسان أحاورك، وبأي خلق أجاورك، وفي أي حقيقة أشاورك، وبأي شيء أداورك. سرك كفران ولفظك بهتان وسرورك طغيان وحزنك عصيان"[١].

فقد بيَّن أن الدنيا لا تستحق الندم عليها، ولا الحسرة على ما فاته منها فهي من جهة دار الفناء وزائلة، ومن جهة ثانية فإن ما حدث لحكمة أرادها الله[٢] حيث قال: "طهر نفسك من الحرقة على فائت الدنيا، وقدِّس نفسك من الأسف على ما لم ترزق في الأولى، وتطامن لحكم الحق وإن شقَّ عليك فإن ذلك أنهض بك وأشد لاستقلالك"[٣].

وهو ما دفعه إلى التوبت والعودة إلى الله والاقبال عليه فقال "إلى متى نسئ ظننا به ؟ إلى متى نشكو إلى خلقه وليس لنا معاذ إلا إليه؟ إلى متى نشرد عنه ولا قوام لنا إلا به؟ إلى متى نكذبه عن أنفسنا وهو أعلم بنا منا؟ وإلى متى نعتصم بغيره وهو أقرب إلينا من حبل الوريد....."[٤].

ويردد في مواضع كثيرة ندمه على ما فاته من صحبة أهل التصوف وعلى الفترة التي عاشها بعيدًا عن الله ، وانشغاله بالخلق حيث إنه كان السبب في هذا البعد لانه لم ينشغل احد بالخلق ووصل الى الحق ، كما أنه يدعو من يسلك طريق التصوف ويترك الدنيا ألا يندم على ما لم يرزق به أو يناله في الدنيا .

أما عن رأيه فى الندم عن الأفعال التي يأباها العقل ويكرهها الشرع ، فقد رفض الندم على الأفعال لانه امر خارج عن استطاعه الانسان لان الاختيار والاستطاعه والقوة والقدره والرأى والرويه وغيرها من الامكانات الى يملكها الانسان ليست له من جهه الملك

١. أبو حيان التوحيدي : الإشارات الإلهية ، ص ٨٥ .
٢. وسيم إبراهيم : نظرية الأخلاق والتصوف عند أبي حيان التوحيدي، دار دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م، ص ٩٣ .
٣. أبو حيان : الإشارات الإلهية ، ص ١٢٣ .
٤. أبو حيان : المصدر نفسه ، ص٢٠ .

بل من جهه التمليك ، لان الله هو مالكها وقد وهب الانسان جزء منها ويتبقي منها بقايا عند مالكها والسبب فى هذا انه ان ملكها ظن انه مستقل .

لذا لابد من شئ دائما يجعل الانسان يفزع الى ربه ويلجأ اليه فى مسألته " ويتبرأ من حوله وقوته وعلمه وكل ما يملك؛ أي خلوص النفس في العاجلة كما قال واللجوء إلى المالك للخلاص في الآجلة، فالله وحده هو الذى يملك الاختيار والاستطاعة والقوة والقدرة والعزيمة، وهو وحده الذي يمنحها للإنسان متى شاء تمام فعله أمده منها بما تمَّ له فعله، وذكر قول الحضرمي الصوفي أنه قال: "النقب كثيرة والعروس واحدة، فقد ارتفع التناقض وسقط التنافي، وإنما قطعت هذا الأمر في طلب الحياة الدائمة التي لا شوب فيها من ألم، ولا عارض من أذى، ولا خوف من انقطاع"[1].

اليأس:

اليأس من العناصر الانفعالية الضرورية في تكوين الوجود..... فمن لا ييأس مما فيه، لا يطلب شيئًا أبدًا، أعني لا يشعر ولا يفكر ولا يصبو[2] ، ويمكن تشبيه يأس التوحيدي انه يأس رجل كان شعاره " اما ان اكون قيصرا او لا اكون شيئا" كما قال كيركجور فى حديثه عن اليأس .

ولا أجد واقعه أدل على يأس التوحيدي من واقعة إحراق كتبه، فقد يأس من الحياة ومن التقرب من الناس، وتجاهل كثير من معاصريه علمه وأدبه وشعر بالغربة الاجتماعية، وظن أنه في إحراق كتبه انتقام من الذين أوصلوه لمثل هذا الشعور وكانوا السبب في توحده واغترابه ، وبعد اختياره طريق التصوف ادرك ان اليأس مع الله افضل من الرجاء فيمن سواه .

وعندما عاتبه صديقه أبو سهل علي بن محمد على هذا الفعل برر هذا الفعل بقوله "وكيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنة فما صح لي من أحدهم وداد، ولا ظهر لي من إنسان منهم حفاظ، ولقد اضطررت بينهم بعد الشهرة والمعرفة في أوقات كثيرة إلى أكل الخضر في الصحراء وإلى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة وإلى بيع الدين

---

١. أبو حيان التوحيدي : المقابسات، تحقيق وشرح د/ حسن السندوبي، دار سعاد الصباح ، ص ٢٠٠ .

٢. عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، ص ٩ .

والمروءة وإلى تعاطي الرياء بالسمعة والنفاق"[١]، ويتضح من هذا النص مدى إحساسه بالظلم والمرارة والأسى.

وضرب التوحيدي مثل بمن اقتدى بهم في هذا العمل ومنهم أبو عمرو بن العلاء، داوود الطائي، يوسف بن أسباط، أبو سليمان الدارني.

كما قام (كفكا) بنفس الفعل حيث كان غير راضٍ عن مؤلفاته لعدم كمالها أو لقصورها وضآلة قيمتها.... ويتفقان هنا في أن هذا الصنيع هو آية إخفاقٍ، إخفاقٍ في الظفر بالمجد عند التوحيدي، وإخفاقٍ من فرط اليأس الذي استولى على النفس من طول مواجهتها لمشكلة نفسها المستعصية على كل حل عند كفكا، ويتفقان كذلك في أن كلًا منهما نظر إلى إنتاجه فوجده عبثًا لا طائل تحته[٢].

---

١ ياقوت الحموي: معجم الادباء ، ص ١٩ .

٢ أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية ، ص ٣٠، ٣١ .

المبحث الثاني: الآخر

ليس ثمة ذات بدون الغير سواء أكان الغير هو الخصم الذي اصطرع معه وتمرد عليه وسخر منه، أم كان هو الصديق الذي تعاطف معه وانجذب نحوه وبادله حبًا بحب، فإنني في كلتا الحالتين لا أستطيع أن أعيش بدونه(١).

لقد أسفر التحليل الوجودي عن حقيقه أن الفرد لا يوجد باعتباره شخص إلا بين جماعة من الأشخاص، ليس ذلك فحسب بل نرى الوجودية تؤكد على أن الناس الآخرين هم عناصر أصلية تقتضيها فكرة الوجود البشري مثلما تقتضي وجود العالم.

وكما أن الفلاسفة الوجوديين لا يسعون إلى تقديم براهين على وجود العالم الخارجي فإنهم كذلك لا يسعون إلى البرهنة على أن هناك موجودات بشرية أخرى، فمذهب الأنا الوحيدة لا يمكن أن يكون مشكلة، إنما فلسفة لا تبدأ بالذات المفكرة الخالصة ولا بالفرد المنعزل، وإنما تبدأ دائما بوجود عيني هو الوجود في العالم والوجود مع الآخرين(٢).

يقول سارتر في مسرحية "الجلسة السرية": إن الغير الذين هم في الواقع جحيم بالنسبة إليه، ففي مسرحية "الأبواب الموصدة" أو "الجلسة السرية"، فإن مشكلة الآخر تتخذ صورة مشوقة؛ إذ تدور أحداث الرواية في جهنم، حيث نجد أنفسنا إزاء ثلاث شخصيات تحيا وجهًا لوجه، دون أن تملك الفرار من هذا الجحيم المستمر الناشئ عن تلك الحياه المشتركة. وليس جحيم سارتر عذابًا أليمًا يصطلي بناره جماعه الأشرار، بل هو عالم الغير الذي لا مفر منه ولا غناء فيه(٣)، وبالنظر إلى حياة التوحيدي نجدها أوقع تجسيد لهذه المقولة.

ويبدو أن اختلاطه واقترابه بأهل عصره قد مكنه من معرفة دخائلهم؛ لذا فإن نقده لمجتمعه وبعض رجال عصره لم يكن من فراغ، ولكنه في نقده كان يكشف عوراتهم الخُلُقية والنفسية، فقد "انطلق يرمي زمانه وأهل زمانه بأقذع الهجاء، شاكيًا نائحًا حينًا، متمردًا عنيفًا يجدف بكل شيء حينًا آخر"(٤).

---

١ زكريا إبراهيم : مشكلة الإنسان، مكتبة مصر ، دار مصر للطباعة، ص ١٥٣

٢ جون ماكوي: الوجودية، ص ١٢١.

٣ جان بول سارتر: جلسة سرية، ترجمة د/ مجاهد عبد المنعم، مقدمه د/ زكريا إبراهيم ، دار النشر المصرية، ص١٣.

٤ عبد الرحمن بدوي: مقدمه الإشارات الإلهية ، ص "يا"

وبالنظر إلى أهم مؤلفات التوحيدي نجد أنها تدور حول الآخر (الهوامل والشوامل) وهو عبارة عن تساؤلات من التوحيدي عن كافة مظاهر الحياة وهموم الإنسان موجهة إلى أستاذه أبي علي أحمد بن يعقوب بن مسكويه، (الإمتاع والمؤانسة) الذي يعد استجابة لتهديد ووعيد أبي الوفاء لأبي حيان، (الصداقة والصديق).

ولقد كان التوحيدي مهتم بالنفس البشرية، ويحاول أن يدقق في أسرارها، وقد فطن إلى الكثير من الحقائق السيكولوجية الكبرى، وفى كتابه "الهوامل والشوامل" يوجه إلى صديقه مسكويه أسئلة كثيرة حول ملاحظات نفسية جديرة بالبحث والتحليل، كان يذم الناس البخل مع غلبة البخل عليهم، أو يمتدحون الجود مع قلة ذلك فيهم.... كما أنه كان من أوائل الذين انتبهوا إلى ما نسميه اليوم بالمرض النفسي والمختلف عن المرض الجسدي[١].

وقد أدرك أبو حيان صعوبة وقوف المرء على أمراضه النفسية وعيوبه الخُلقية، فقال على لسان أستاذه أبي سليمان "إن كثيرًا من أخلاق الإنسان تخفى عليه، وتُطوَى عنه، وذلك جلي لصاحبه وجاره وعشيرته"[٢]؛ لذا فهو يحتاج إلى طبيب نفسي ولكن اشترط ضرورة إعلامه بمكنونات الضمير وخبايا الشعور.

ويضع طبيب النفس في مرتبة أعلى من مرتبة طبيب البدن، ويصف أطباء النفوس بأنهم أهل الفضل؛ ذلك أن مُهِمَتهم أكثر تعقيدًا من أطباء البدن، فالذي يعالج القسم الشريف من الإنسان – وهو النفس – يكون بالضرورة شريفًا[٣].

إن "التجربة الصوفية" نفسها لم تكن عنده سوى مجرد وسيلة لتحقيق "شفاء النفس". وليس من العسير على المتأمل في كتاب "الإشارات الإلهية" أن يستخرج من ثنايا صلواته ومناجياته الكثير من الملاحظات السيكولوجية القيمة، والنظرات الفلسفية العميقة. فالتوحيدي لا يكف في هذا الكتاب عن الإشارة إلى ضرورة توافق الظاهر والباطن، وتلاؤم السر والعلانية، وتجانس الشكل والحال، وتكامل الفعل والانفعال[٤].

---

١ أحمد عبد الهادي: أبو حيان التوحيدي "فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٩٧م ، ص ١٠٦- ١٠٧.

٢ أبو حيان التوحيدي: المقابسات، ص ١٤١.

٣ أحمد عبد الهادي: مرجع سابق، ص ١٠٧- ١٠٨.

٤ زكريا إبراهيم: أبو حيان التوحيدي "أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء" ، ص ٢١٤.

الأسرة:

كان أبواه فقيرين، وعمل أبوه في بيع التمر، ولكن لا نجد في كتبه أية إشارة إلى أسرته أو طفولته، وبالنظر إلى شخصيته ممكن أن نستنتج أنه لم يكن هناك في طفولته ما يحب الحديث عنه أو الإشارة إليه وهذا يتضح في تساؤله في الهوامل عن اشتياق الإنسان إلى ما مضى قائلا: "وإن كان الماضي من الزمان في ضيق وحاجة وكرب وشدة"[(١)]، وربما صمته عن الحديث عن أهله وعدم ذكر شيء عن طفولته أو علاقته بأسرته أكبر دليل على خيبة أمله في علاقته بهما، خاصة وأنه كان يكثر من الحديث عن نفسه في مراحل الكهولة والشيخوخة.

ومع ذلك يتضح في المقابسات أنه كان يحب والدته لأنه رغم وفاتها وهو غلام كما قال إلا أنه كان يُعظِّم منزلتها؛ وذلك في رده على أبي زكريا الصميري وحديثه عن والدته قائلا: "الأم شأنها في الحس أعظم، وتدبيرها في المباشرة أظهر، وشفقتها بسبب ضعف قوتها أكثر "[(٢)].

لقد بدأ غربته منذ الطفولة واستمرت معه في باقي مراحل حياته، فبعد وفاة والديه كفله عمه القاسي، فعندما كان يشاد بعلمه وتصوفه في مجلس أبي الحسن بن القطان الفقيه الشافعي كان ردُّ عمه أنه به عيب واحد أنه يأكل في كل يوم أربعة أرغفة.

وكذلك كيركجور ولكن مأساته كانت مع والده الذى لم يتلقي منه معامله جيده بل كان يعامله بوصفه شيخ عجوز وقد راه تربيه دينيه صارمه .

كما أن كثرة التنقل بين بغداد ونيسابور وشيراز وغيرها من المدن، واستغراقه في طلب العلم وتحصيله الذي سهلته له مهنة الوراقة من الأسباب الرئيسية التي قد حالت جميعا دون استقراره وتكوين أسرة، فقد ظل طوال حياته لا يجد "ولدًا نجيبًا، وصديقًا حبيبًا، وصاحبًا قريبًا، وتابعًا أديبًا، ورئيسًا منيبًا"[(٣)]. وهكذا فُرِضت عليه الوحدة في الحياة وشعر

١. أبو حيان التوحيدي : الهوامل والشوامل ، ص ٣٨ .
٢. أبو حيان التوحيدي : المقابسات ، ص ٢٧٦ .
٣. ياقوت الحموى: معجم الأدباء ، القاهره ، ١٩٣٦ ، جـ ١٥ ، ص ١٩ .

بالوحشة التي وصفها بدقة في معظم كتاباته، وهو في هذا قريب أيضا من كيركجورد فسخ خطبته (*) و عاش حياته بلا زوجه ولا ولد.

العامة والخاصة:

لم يسلم كلاهما من لسان التوحيدي فبالنسبة للخاصة يعتقد أنهم قد حرموه من لذات الحياه وجانبوه وتركوه يعيش غريبا.

أما العامة فنراه يحتقر العامة ويزدريها؛ لأن طموحاته فوق طموحات أهلها ولأنه يرى فيها المهانة والفقر وهما أشد أعدائه[١]، فقد نشأ فقيرًا وبقي كذلك حتى آخر حياته فقال "غدا شبابي هرمًا من الفقر والقبر عندي خير من الفقر"[٢]، فليس هناك أدلُّ من احتقاره للعامة من قوله "والله لربما صليت في الجامع فلا أرى إلى جانبي من يصلي معي فإن اتفق فبقال أو عَصّار أو نداف أو قصاب، ومن إذا وقف إلى جانبي أسكرني بنتنه"[٣].

كما انه كان يرفض الكتابة لهم، وكان يرى ضروره البعد عنهم حيث أن "التصدي للعامة خلوقة، وطلب الرفعة بينهم ضعة، والتشبه بهم نقيصة، وما تعرَّض لهم أحد إلا أعطاهم من نفسه وعلمه وعقله ولوثته ونفاقه وريائه أكثر مما يأخذ منهم إجلالا وقبولا واحتراما، وإن من خالطهم ينسلخ عن المهمات النفسية واللذائذ العقلية، ومن انتصب لهم لم يملك لا درهما أو ثوابا أو دينارا"[٤].

وللأسف إن ذمَّه للناس قد أبعده عن قلوبهم وصرف الكثير عن ملاحظة عبقريته في العديد من المجالات، فقد كان "سخيف اللسان، قليل الرضا عند الإساءة والإحسان،

كان كيركجور يخفى سر علاقته بأبيه ولما كان الحب في نظر كيركجور يستلزم البوح والافضاء والمشاركه ويقتضي الشفافيه ، فان من يحجب شطرا منه عمن يحب ، لانه يعتبره سرا خاصا به ، يخون حبه وموضوع حبه ويقيم سعادته الزوجيه على اساس من الخداع . وهكذا هدم كيركجور سعادته الزوجيه ضنا منه بسر ابيه الذى يتعلق بمشاعر دينيه لها اعمق الاثروالجذور فى حياه الاسره وحياته الشخصيه . فؤاد كامل : نصوص مختاره من التراث الوجودى ، الهيئه المصريه العامه للكتاب ، ١٩٨٧ م ، ص ٢٦ . (*)

١الحبيب شبيل : المجتمع والرؤية "قراءة نصية في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣م ، ص١٦.

ياقوت الحموي : المرجع نفسه، ج ١٥ ، ص ٢٣ . ٢

أبو حيان التوحيدي : الصداقة والصديق ، ص ٥ . ٣

التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، مراجعة/ هيثم خايفة الطعيمي، الجزء الأول، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠١١م ، ص ٤

الذمُّ شأنه، والثلب دكانه"[١]، وصراحته قد أوقعته في تورط دائم مع الناس، وكان يعتذر أوقات عن هذه الصفة ويقدم تبرير لها بأنه كان مدفوعًا بما هو مبتلى به وبما عاناه من معاصريه.

وكذلك صراحه كيركجور و جرأته قد أوقعته فى العديد من المشكلات فقد كان ثائرا على الكنيسه وكان ينشر افكاره الثوريه هذه فى نشره يصدرها كل اسبوعين سماها اللحظه صدر منها عشره اعداد وقد جلبت عليه سخط الكنيسه الرسميه التى انضمت اليها الصحافه الدنماركيه [٢].

وكذلك رأيه فى العامه لم يبتعد كثيرا عن رأى كيركجور، فيمكن اعتباره واحداً من أشد المعارضين لمبدأ "سلطة الشعب" ونظام الحكم الديمقراطي، حيث كان رافضاً بشدة لانتزاع الحياة الثقافية من أيدي النخبة الأرستقراطية، ووضعها في أيدي الناس "People"، والناس هنا عند "كيركجور" يقصد بهم "العامة" التي كان كثيراً ما يقلق من اتجاهاتها[٣]، ومن هنا تتضح دعوة "كيركجور" الحقيقية للتفرد، فالخطورة ليست في أن تكون عضواً في الحشد ولكن تكمن الخطورة في أن تكون منساقاً من قبل هذا الحشد، ولذلك يجب أن تكون لديك القوة لتصبح فرداً لست أي فردٍ بل فرداً مميزا[٤].

إن الفرد الذي يدافع عنه "كيركجور" هو الفرد المتميز والمتفوق ذو المواهب النادرة التي تجعله غريباً عن الجماهير التي قد تسخر منه تارة، وتارة أخرى تطارده[٥].

الصديق:

"آه يا أخي الذي لم أره......"، وردت هذه الكلمات في "الصداقة والصديق" الذي يعد تعبير عن الحنين والاتياع إلى الصديق الذي لم يحُذه التوحيدي.

موضوع الصداقة قديم قدم الإنسانية، فيه تتجاوب عواطف النفس البشرية، وعلى صفحاته تنعكس نفسيتها وروحها... وإن التوحيدي الذي آلمته الحياة، وخدشته بأظفارها

١ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ص٣٨٠.
فؤاد كامل : نصوص مختاره من التراث الوجودى ، ص ٢٨ . ٢
3 Caputo, J. D.: “How to Read Kierkegaard”, New York ,London, W. W. Norton and Company, 2008”, P: 90
4 Friedman,M.: The World Of Existentialism , Humanities Press ,New Jersey, 1991,P: 113.
إمام عبد الفتاح: كيركجور رائد الوجودية، ج١، ص٢٢٨. ٥

وجرعته كأس المرارة والحرمان واليأس فعاش على خلافٍ مع أهل زمانه يلقى الأذى حتى أُجبِر على العزلة والاختفاء سنين طويلة[١].

وربما ظروف حياته القاسية وعدم وجود علاقات اسريه لديه هو الذى دفعه الى البحث عن الصداقة، وجعلها بديل عن العلاقات الأخرى التي كان يفتقدها، فقد عاش حياة مليئة بالغربة والوحشة وكان يرى في الصداقة شفاء للصدر وتعليل للنفس وبرد للغليل.

ورغم أن الوزير "ابن سعدان" طلب منه كتابه "الصداقة والصديق" قبل توليه بعد أن سمع كلامه عن الصداقة، وهو الذي سامر التوحيدي سبعًا وثلاثين ليلة طرح عليه فيها مسائل شتى، ولكنى أرى أن السبب الرئيسي هو تعلقه الوجداني الشديد ورغبته في أن يكون لديه صديق، فهو موضوع أملته عليه دوافع وجدانية وعاطفية. وقد جمع في هذا الكتاب أكثر ما قيل عند العرب في الجاهلية والإسلام عن هذا الموضوع.

ولقد قسم المجتمع من زاوية الصداقة إلى طبقات وهم الملوك والأمراء وأتباعهم والمزارعون والتجار ورجال الدين وأهل العلم والأدب والرعاع والسوقة، وبناءً لعشرته وملامسته تلك الطبقات رأى أن الطبقات التي توجد فيها صداقة رجال الدين لبنائهم إياها على التقوى أهل العلم إذا خلوا من التنافس والحقد ربما صحت لهم الصداقة وذلك قليل.

وقد حاول أن يكسب ود ابن عباد وابن العميد وصداقتهم آملًا أن يجد في قربه منهم خلاصًا من ذل الفقر، وأن يتخلص من حرفة الوراقة التي كان يرى أنها حرفة الشؤم، خاصة أنه رأى العديد من الأساتذة يظفرون بعطائهم أمثال: أبي سعيد السيرافي وأبي سليمان المنطقي، إلا أنه لم يلقَ من ابن العميد إلا "الصد القبيح واللقاء الكريه، والجفاء الفاحش والقذع المؤلم، والمعاملة السيئة، والتغافل عن الثواب على الخدمة، وحبس الأجرة على النسخ والوراقة، والتجهم المتوالي عند كل لحظة ولفظة"[٢]، وهذا ما دفعه إلى تأليف كتاب "مثالب الوزيرين"، فقد شنَّ عليهم حملة عنيفة تكشف سوءاتهما وعيوبهما بعد أن فشل في أن ينال منهما رغبته في الرعاية والفضل بعد مرور ثلاث سنوات بصحبتهم.

١ أبو حيان التوحيدي: الصداقة والصديق ، ص ١٣.

أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة، جـ ١، ص ٣. ٢

ولذا لم يترك التوحيدي طريقًا للطعن بالصاحب والإساءة إلى سمعته إلا سلكها وطعن في خلقه وأدبه وعلمه وعرضه، فهو جاهل وبخيل وغبي ورقيع وسخيف وسفاك للدماء وغدار وقليل الوفاء والذمة(١).

وقد أرجع حقده إلى الحسد والتنافس العلمي وتفضيله الجاحظ عليه ، فيقول عنه: "أول من أفسد الكلام أبو الفضل لأنه تخيل مذهب الجاحظ ، فظن أنه إنْ تبعه لحقه ، وإنْ تلاه أدركه ، فوقه بعيدا عن الجاحظ قريبا من نفسه ، ألا يعلم أبو الفضل أن مذهب الجاحظ مدبر بأشياء لا تلقى عند كل إنسان ولا تجتمع في صدر كل أحد بالطبع والمنشأ والعمل...."(٢).

يقول في نقد الوزير ابن عباد "والناس كلهم محجمون عنه لجرأته وسلاطته واقتداره"(٣)، وكان في نقده للوزيرين أثر سيء عليه فقد بعد عنه الناس إرضاءً لهم ، ولكن كل هذا لم يجبره للتنازل عن ذاته للاخرين وضياعها وانغماسه فى المجتمع.

السياسة والأخلاق :

واحتلت السياسة مجال واسع في أحاديث أبي حيان والوزير ابن سعدان في كتاب الإمتاع والمؤانسة، وكذلك مثالب الوزيرين الذي يعد تسجيل لأخلاق بعض الوزراء، والتوحيدي كعادته في جميع المواقف لم يكن سلبيًا، بل كان له رأي في كل الأحداث السياسية وكان يصدر أحكامًا كما سبق وذكرت في رجال سياسيين أمثال ابن عباد وابن العميد.

لقد كان مولد التوحيدي في العصر العباسي الثالث، ورغم ازدهار عصره الثقافي والفكري إلا أنه كان ملئ بالاضطرابات السياسية حيث بدأ التدهور السياسي للخلافة العباسية وقد أدى ذلك إلى انقسام الدولة إلى دويلات واستيلاء الأعاجم على الدولة، وانقسم المجتمع إلى طبقتين طبقة حاكمة -أصحاب السلطة- وطبقة محكومة، وللأسف كانت تضم الأدباء والعلماء، وكذلك سادت الفوضى الاجتماعية والاضطراب الأخلاقي

١أبو حيان التوحيدي : مثالب الوزيرين ، "أخلاق الصاحب بن عباد وابن العميد " ، تحقيق د/ إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق ، ص (ط) .

أبو حيان التوحيدي : المرجع نفسه، جـ ١، ص ٩٥ . ٢

أبو حيان التوحيدي : المرجع نفسه، جـ ٣، ص ٥٥ . ٣

وشيوع الفحش فيقول: "إن الحضارة العربية كان من طابعها القول المكشوف من غير مواربة، لم نبعد عن الصواب"[١]. كما ساد الفساد فقد عاش في عصر الأثرياء ينفقون بسخاء فيما لا يستحق وفقراء يأكلون بعضهم في المجاعات.

وقد أبرز في كتاباته خاصة "الإمتاع والمؤانسة" الكثير من الفساد وتدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية والعيوب الأخلاقية السائدة في عصره خاصة في فئة التجار وبعض الفئات الأخرى مثل الجند والكتاب، "قد تعاطوا المنكر حتى عرف، وتناكروا المعروف حتى نسي، يتمسكون من الملة بما صلح البضائع، ويتهون عنها كلما عادت بالوضائع، يسر أحدهم بحيلة، يرزقها لسلعة ينفقها لمسلم يحميه الإسلام، فإذا أحكم حيلته وغيلته غدا قادرا على حرده، فغر وضر وآب إلى منزله بحطام قد جمعه مغتبطًا بما أباح من دينه وانتهك من حرمه أخيه"[٢].

ولا عجب أن نرى التوحيدي في "الهوامل والشوامل" يسأل عن مشكلة الرزق، أو كما يقول عنها (ملكة المسائل والجواب عنها أمير الأجوبة) فيها ابتلى الناس، وهي كما يلخصها (حرمان الفاضل وإدراك الناقص) ولا عجب أن يطرح هذا وهو لم يكن يجد ما يقتات به حتى إنه ليأكل من حشائش الأرض، وأبو سليمان المنطقي لا يجد أجرة سكنه، وأهل العلم كما صورهم في كتابه "الهوامل والشوامل"، ومثالب الوزيرين والإمتاع والمؤانسة، وما كانوا يلاقونه من عذاب حتى كانت مسألة الرزق في رأيه من أهم أسباب الخروج من ربقه الدين، كما فعل الراوندي، ومن أسباب الشك كما فعل أبو سعيد الحصيرين، كما أنها كانت من أهم أسباب الإلحاد في الإسلام والارتياب في الحكمة[٣].

---

١ أبو حيان التوحيدي : البصائر والذخائر، حققه وعلق عليه د/ أحمد أمين، د/ السيد أحمد صقر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى،١٩٥٣م.، ص هـ .

٢ أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة، جـ٣، ص ٦٢ .

٣ وسيم إبراهيم : نظرية الأخلاق والتصوف عند أبي حيان التوحيدي ، ص١٢ .

المبحث الثالث: اغتراب(*) التوحيدي

وغربة التوحيدي بدأت مبكرة باليتم والعيش مع عمه القاسي[١]، وظاهرة في جميع مراحل حياته، والفشل الذي اصطدم به في حياته وضيقه بالحياة وخيبة أمله في المحيطين به وعجزه عن التكييف مع مجتمعه مع انعدام تفاعله واندماجه عاطفيًا وفكريًا مع هذا المجتمع كما سبق وأوضحت، وضيقه بالحياة هو ما جعله يشعر بالغربة في وطنه لذا "أَنِسَ الوحدة ويئس من جميع الخلق، وانتحل القناعة رياضة"[٢]، وهذا ما كان يدفعه دائما إلى كثرة البكاء والشكوى.

ويضاف إلى أسباب اغترابه سبب آخر وهو عدم اهتمامه بهيئته ومنظره في عصر بلغ شأن بعيدًا في الحضارة والمدنية، واهتم هذا العصر بالمظهر والهندام أكثر من اهتمامه بالمخبر والحقيقة، فقد كان التوحيدي صوفي السمت والهيئة رث اللباس نابي المظهر، لا هيئة له عند ملاقاة الكبراء، ومقابلة الوزراء، وقد أكسبه المظهر الصوفي واختلاطه بالصوفية والغرباء وركونه إلى أصحاب المرقعات والتاسومات فسوله وغراره، وربما كانت سبب حرمانه من بلوغ حقه، وزهد الأعاظم فيه، وإيثار سواه عليه[٣].

وهذا السبب أيضا كان من أسباب اغتراب كيركجورد، فقد كان بشع المنظر قميء القامة ذا صوت نشاز كأنه نعيب الغراب، إحدى ساقيه أطول من الأخرى محرومًا من محاسن الجسد، ولقد أحدث له هذا الجسد الشائه متاعب لا حصر لها، كما ترك في

(*) إن الاصطلاحات اللاتينية الدالة على الاغتراب يمكن استخدامها بشكل عام في مجال العلاقات الإنسانية بين الأشخاص، فقد استخدمت كلمة الاغتراب قديمًا للتعبير عن الأحساس الذاتي بالغربة، أو الانسلاخ سواء عن الذات أو عن الآخرين. فالفعل اللاتيني يمكن أن يدل على معاني "التسبب في فتور علاقة حميمية مع شخص ما. أو في حدوث انفصال أو جعل شخص ما مكروها، أيضا يمكن أن تشير الكلمة اللاتينية، إما إلى هذه الحالة من الانفصال أو الشقاق، أو إلى الظروف التي تنجم عنها. ولا يزال هذا المعنى هو المعنى الشائع في الاستخدام الحديث للكلمة الإنجليزية "اغتراب" حتى وقتنا هذا. حسن حماد: الإنسان المغترب عند إريك فورم، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، ٢٠٠٥ م ، ٦٣ ـ ٦٤ .

١ وليس أدلُّ على قسوته من قول التوحيدي بشأنه "إن عمي كان قاعدًا في بعض العشيات في قطيعة الربيع، فاجتزت به متوجها إلى مجلس أبي الحسن بن القطان الفقيه الشافعي، فقال له جلساؤه إن ابن أخيك يا أبا العباس مجتهد في طلب العلم يغدو ويروح، ولقد سمعنا منطقه فأستأنسنا به، وقد كتب الحديث الكبير وسافر، وتصوف، فقال للجماعة: هذا كله كما تقولون، ولكن له عيب واحد، قالوا: وما هو؟ قال: يأكل في كل يوم أربعة أرغفة، فورد على الجماعة ما حيرها وأضحكها". جمال الغيطاني: خلاصة التوحيدي "مختارات من نثر أبي حيان التوحيدي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٥ م، ص ٧.

٢ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، جـ١٥، ص ٣٧ .

٣ محمد بركات محمد: أبو حيان التوحيدي مغتربا، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت ،٢٠٠١ م ، ص٧٧ .

الوقت ذاته انطباعات نفسية بالغة الأثر على شخصيته وعلى فكره وعلى مجرى حياته كلها[١].

ولقد عانى التوحيدي الدلالات الوجودية المختلفة لمفهوم الاغتراب، فقد عانى من الاغتراب الاجتماعي والفكري والوجودي فهو شخصية قلقة تحيا في صراع وتمزق داخلي، فقد عانى ويلات الغربة وأحس أنه غريب في كل شيء غريب في وطنه، غريب عن أحبابه، غريب عن كل ما في الوجود من أشياء وأحياء، ينكر كل أحد وينكره كل أحد.

وغربته لم تكن اختياريه بل فرضت عليه بسبب مواقف المحيطين به وسلبيات المجتمع.

فهو في وطنه غريب، وتلك هي الغربة الوجودية ذات المعنى العميق؛ لأنها إحساس بالوحدة الذاتية المطلقة التي يحملها الإنسان في داخل نفسه أينما حل وحيثما سار، وفي أي وسط كان، فالوطن المادي لا معنى له إذا قيس بالوطن الروحي الذي تقطنه تلك النفوس الشاردة[٢].

وأقسى ما كتب التوحيدي عن الغربة حين سأل من الغريب فأجاب "الغريب من هو في غربته غريب، بل الغريب من ليس له نسيب، بل الغريب من ليس له من الحق نصيب"[٣] فقد استغرق الاغتراب نفس التوحيدي حتى وصل إلى مرحلة أصبحت الغربة موطنًا له ويشعر بالغربة داخلها فقد ضرب الاغتراب بجذوره في أعماق التوحيدي.

وحين طلب منه وصف الغريب ومحنته قال :

إِنَّ الغَرِيــبَ بِحَيثُ مَا // حَطَّتْ رَكَائِبُهُ ذَلِيلُ
وَيَدُ الغَرِيــبِ قَصِيـرَةٌ // وَلِسَانُهُ أَبَدًا كَلِيــلُ
وَالنَّاسُ يَنْصُرُ بَعْضُهُمْ // بَعْضًا وَنَاصِرُهُ قَلِيلُ[٤]

ومن خلال ما سبق عرضه من أفكار التوحيدي المختلفة يتضح أن غربته كان سببها الأساسي إخفاقه في تحقيق ما كان يصبو إليه من مكانة رفيعة يؤهله إليها إمكاناته العقلية، إلى جانب عدم قدرته على تقبل مجتمعه والتعامل معه، وجرأته في التعبير عن

١. إمام عبد الفاتح : كيركجورد ، جـ ١ ، ص ٥٨ -٥٩ .
٢. أبو حيان التوحيدي : الإشارات الإلهية، ص ١٩ .
٣. عزت السيد أحمد: فلسفة الفن والجمال عند التوحيدي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ، ٢٠٠٦ م، ص ٢٨٤ .
٤. أبو حيان التوحيدي : الإشارات الإلهية ، ص ٧٩ .

آرائه ومشاعره دون مجاملة دون تفكير في العواقب، وعجزه عن مسايرة الوزراء والأمراء وعدم قدرته على عقد أي صلات اجتماعية ناجحة كما سبق وأوضحت.

وقد ذكر بعض أساتذته الذين كان لهم نفس الاتجاه ووجدوا في حياة التوحد والاغتراب إحترام كبير للذات وبعد عن حياة الذل والهوان أمثال "أبي سليمان المنطقي"، "أبي بكر القومسي".

فقد اصطدم عقله بمعميات هذا الوجود ومشكلاته الكبرى، مثل مشكلة الموت كحقيقة كبرى صادمة ورهيبة لا مهرب منها، ومشكلة الشر البادي في العالم سواء تجلى في نفوس البشر أو في مظاهر الطبيعة المختلفة أو مشكلة التناقض داخل النفس الإنسانية بين الإرادة والعقل، والظاهر والباطن، والحقيقة والواقع(١).

وقد كان يرى أن من أسباب شقاء الإنسان كونه أسيرًا بين عقله وحسه "للعقل صلف شديد، فإذا قدته إلى التقليد جمح، وللحس برق ظاهر إذا أشرت له إلى التسامح ثاب وعاد وثبت واعتاد، والإنسان بينهم أسير"(٢)، بجانب عجزهم عن إدراك غيب الحكم الإلهية الخفية.

وفكره في الاغتراب ونجاته منه لم يكن بعيد عن فكر الفلاسفة الوجوديين، فعلى سبيل المثال (ليون شستوف) حيث يروي عنه أنه قال: "إن المخرج الحقيقي الوحيد إنما يوجد حيث لا مخرج للحكم الإنساني وإلا فما الحاجة إذن إلى الله؟ فالإنسان لا يتوجه إلى الله إلا من أجل الحصول على المستحيل إما الممكن فالإنسان كفيل به"(٣)، وكذلك كيركجور الذي حاول بكل ما أوتي من طاقة من أجل أن يرجع هذا الفرد ليقف مرة أخرى منعزلاً عن هذا العالم ليستطيع أن يعيش ويحيا مع الله(٤). وفي تلك اللحظة فقط تحقق الذات الإنسانية وجودها الحقيقي وتستطيع الحصول على سعادتها الأبدية (٥).

وكذلك التوحيدي فقد اتجه إلى الله وسلك الطريق الصوفي بعد رحلة طويلة في الحياة مليئة بخيبات الأمل والإخفاقات واليأس، فيقول: "فأما حالي فسيئة كيفما قلبتها لأن

١ محمد بركات محمد : أبو حيان التوحيدي مغتربا ، ص ٩٢ .

٢ أبو حيان التوحيدي : الإشارات الإلهية، ص ١٠٥ .

٣عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠ م ص ٢١٢.

4 Walsh, S.: "Kierkegaard Thinking Christianly in an Existential Mode", , Oxford University Press Inc., New York, 2009, P: Viii.

5 Moor C. E.: "Provocations, Spiritual Writings of Kierkegaard", P: XIX.

الدنيا لم تؤاتني لأكون من الخانعين فيها، والآخرة لم تغلب عليَّ فأكون من العاملين لها"(١).اى ان اللجوء الى الله بالنسبه للتوحيدي طريق يعبر به من اليأس الى الامل ، من الهجر الى الوصال ، من الغربه الى الانس .

فقد كان يحيا حياة كلها توتر وصراع وتمزق داخلي وانقسام وتفكك بسبب تطلعاته الاجتماعية والفكرية التي لم تتحقق وهو ما أوصله إلى حالة يشعر فيها بعدم نفع وجدوى كل شيء "إن العلم بلاء، والجهل عناء، والعلم رياء، والقول داء، والسكوت هباء، والنظر عداء، وكل ذلك سواء"(٢)، وهو ما دفعه إلى الوحدة وتغيير مساره الفكري والروحي والتوجه إلى الله يناجيه طالبًا عنده الأنس الذي فقده في الدنيا قائلا: "اللهم إنّا قد أصبحنا غرباء بين خلقك فآنسنا في فنائك"(٣) ، واختيار طريق التصوف متدرجًا في مقاماته كما سوف أوضح فيما بعد.

فقد وصل الى مرحله شبه تبسمه فى وجه من حوله او ترفقه بهم او سعيه فى حوائجهم من الكبائر العظيمه لذا توجه الى الله يطلب منهم ان يتم رفع سيرته عن السنتهم –وهذه كانت اماره قبول الله له – ويخلصه منهم لكى يلجأ الى الله وفى هذه الحال ينال الفوز وينجى .

قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ**﴾(٤)، ولم يذهب بعيدًا عن معنى هذه الآية فقد شعر بالسكينة والاطمئنان حيث إن الغيب لا سبيل للإنسان للوقوف عليه، ولكن لا بد من التأكد أن الله لا يريد سوى الخير لعباده قائلا: "إن ما حرمنا من المال والثروة تخفيف عنا وما رزقنا من العمل والحكم تشريف لنا"(٥).

فقد اعترف التوحيدي بأن التصوف كان نتيجة معاناته وغربته، فقد شبه الغربة بأنها أشجار البلوى وأن التصوف هو الطريق الذي ارتضاه لنفسه بعد السكن في مساكن الغربة وتجرع الكربة بعد الكربة بأنه ثمار العقبي ؛ لذا كانت نجاة الغريب تتضح في

---

١ أبو حيان التوحيدي : الإشارات الإلهية، ص ١٨.
٢ أبو حيان التوحيدي : المصدر نفسه ، ص ٨٧.
٣ أبو حيان التوحيدي : المصدر نفسه ، ص ٨٤ .
٤ سورة الشورى: الآية ٢٧ .
٥ أبو حيان التوحيدي : المقابسات ، ص ٦٤ .

وصفه له بأنه "من توجه إلى الله قاليًا لكل من سواه، بل الغريب من وهب نفسه لله متعرضًا لجدواه"[1].

فكأن التصوف طريق للحدية الإنسانية يتحدر الإنسان به من مطامعه التي تستعبده ليحقق العبودية لله وهي التي تحرره أو تعتقه؛ ولذلك اتجه إلى التصوف وأهله[2].

١ . أبو حيان التوحيدي : الإشارات الإلهية، ٨٤
٢ . وسيم إبراهيم : نظرية الأخلاق والتصوف عند أبي حيان التوحيدي، ص٨٥

المبحث الرابع: أهم معالم التصوف عند التوحيدي

وقد تأثر التوحيدي بالصوفية منذ طفولته فهو من تلاميذ جعفر بن محمد بن نصير وقد صحب الصوفية منذ سنوات مبكرة من عمره، واهتمام التوحيدي بالصوفية وإعجابه بهم تجده في كل كتبه وفي مراحله الفكرية المختلفة، ففي (البصائر والذخائر) يذكر كلامهم بالإعجاب ويجد فيه ما يوحي بالتصديق وحسن النية، وإن لم يدرك في هذه المرحلة محل خفايا التصوف، ولم يكن على الاستعداد النفسي اللازم للدخول في هذا(١)، ويحكي أبو حيان عن نفسه أنه حجَّ في رفقة من إخوانه المتصوفة سنه ٣٥٤ هـ، ويصف ما احتملوا في عودتهم إلى بغداد من مشقات(٢)، وفي حديثه عنهم في الإشارات يصفهم بملوك الدنيا وسادة الآخرة أو أحبائي، ويرى أن الله خصهم بالفضل والتفضل، ويؤكد أن طريق التصوف هو ما يجب التنافس عليه لا الدنيا.

وهكذا انطوى أبو حيان على نفسه، ولم يبقَ في الأرض من يستطيع أن يبادله الشكوى والبث فحوَّل طرفه إلى السماء، وأخذ يناجي الله بالإشارات وعاد إلى التصوف الذي نهل منه في شبابه... ولم يكن الانتقال عليه صعبًا من حيث الطريقة الفنية، فقد كان يخاطب الأدميين متذللًا شاكيًا، أو متمردًا في بكاء، فحوَّل هذا الأسلوب إلى مخاطبة المحبوب الأسمى، ومسح المعاني القريبة بمسحة من التلويح والإشارة. كان فقره حاجة مادية تضن بالضروري من العيش، كان فقر رجل اضطرته الحاجة إلى التفتيش عن البقول في الصحراء فأصبح فقرًا إلى الرحمة، بل إلى المعرفة، بل إلى الوصول الصوفي، وكانت غربته في طبيعته وخلقه، وفي قلة المشاكل والنظير، فأصبحت غربة النفس العلوية في دنيا الطين(٣).

ولقد كان كتاب "الإشارات الإلهية" أكبر دليل عن التغير الذي حدث في شخصية التوحيدي سواء كان موضوعه أو الدافع من كتابته الذي كان على النقيض من كتاباته السابقة الذي كان يقدمها لأشخاص بعينهم مثل الإمتاع والمؤانسة، أخلاق الوزيرين وغيرها، أما بالنسبة لموضوعه فقد كان عبارة عن أدعية ومناجيات صوفية لله مثل بعض

---

١. وسيم إبراهيم : نظرية الأخلاق والتصوف عند أبي حيان التوحيدي ، ص ٩٨ .
٢. أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة، ص ١١٥ .
٣. إحسان عباس : أبو حيان التوحيدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٦ م ، ص ١١٦ -١١٧ .

الرسائل التي تبدأ بالدعاء مثل: "اللهم إنا نسألك ما نسأل لا عن ثقة ببياض وجوهنا عندك وحسن أفعالنا معك، وسوالف إحساننا قبلك، ولكن عن ثقة بكرمك الفائض"[١]، وهناك رسائل تبدأ بالمناجاة مثل: "اللهم رَوِّح صدورنا بنسيم ودك، واغمر أرجاء قلوبنا بغوامر من رفدك، وأذقنا حلاوة برك"[٢].

أو رسائل تبدأ بمخاطبة شخص ما يحمله على ترك الدنيا والإعراض عن الشهوات فيخاطبه قائلا: اسمع أيها الجليس، أيها الصاحب الغادي وغيرها من الجمل، وأغلب الظن أن هذا الآخر كان يقصد بها نفسه، حيث كان يشعر بالازدواجية وهو في مناجاته الصوفية بسبب شعوره بالتصدع الداخلي، فمن ناحية كان يميل إلى أهل التصوف ولكن في الوقت ذاته لم يكن زاهدًا أو متطرفًا في بعده عن الدنيا.

وقد ذكر في الإشارات كلمة "تصوف" ثلاثة وعشرين مرة، وكلمة "صوفي" اثنين وخمسين مرة، وكلمة "صوفية" إحدى وأربعين مرة[٣].

وتمدنا "الإشارات" أيضا بمفهوم واضح للتصوف حسبما كان يؤمن به أبو حيان، فقد عرَّف أبا حيان التصوف بأنه " اسم يجمع انواعا من الاشارات وضروبا من العباره وجملته للتذلل للحق بالتعزز على الحق " ويقول ابو حيان عن التصوف : والتصوف معناه اكبر من اسمه ، وحقيقته اشرف من رسمه " [٤]،كما سلف القول أن الإشارة إلى علم التصوف بالإشارات والعبارات كان أمرًا معروفًا متداولًا لدى الصوفية في عصر أبي حيان وقبله.

وقد استخدم التوحيدي شأنه شأن الصوفية رموزًا وإشاراتٍ وأسلوبًا إيحائيًا روحيًا، وقد ذهب عبد الرزاق محيي الدين إلى أنه ربما كان أسلوبه في الإشارات هو الذي جعل البعض يطغى في عقيدته "أعني بالأسلوب الرمزي الغامض الحاشد بالإشارة والألغاز، والذي يكون عادة عرضةً للنقد ممن لم يألفوا عبارات المتصوفة"[٥].

---

١ أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية، ص ١ . ١
أبو حيان التوحيدي: مرجع سابق، ص ٦٣ . ٢
طيبة صالح الشذر : ألفاظ الحياة الثقافية في مؤلفات أبي حيان التوحيدي ، ١٩٨٩ م، ص ٦٤٣. ٣
طيبة صالح الشذر :مرجع سابق ، ص ٦٤٥ . ٤
وسيم إبراهيم : نظرية الأخلاق والتصوف عند أبي حيان التوحيدي، ص ٧٩. ٥

وفى تبريره استعمال الرمز ذكر قول عيسى عليه السلام للحواريين حين قال لهم " انكم لن تدكوا ملكوت السموات الا بعد ان تتركوا نساءكم ايامى واولادكم يتامى " فهو يري ان فى قوله هذا رمز وراءه رمز واشاره فوقها اشاره ، حيث ان المعنى المقصود ليس البغض او الكراهيه بل الوصول الى اقصي درجات المحبه بالتخلى عن كل ما سواه بالاتصال بالله الواحد فقط .

وربما الحسد والحقد الذي دفع معاصريه، وعلى رأسهم ابن فارس للترويج لذلك(*). وكان التوحيدي قد هجاه في كتاب الإمتاع والمؤانسة ووصفه بأقبح الأوصاف فكان طعنه في ابن حيان صدى تلك الملحمة بينهما.... كما كان "أبو الوفا بن عقيل" شيخًا للحنابلة يحارب الاتجاهات العقلانية والمستنيرة في عصره يرمي أيضًا التوحيدي بهذا البهتان(١). وهو فى هذا قريب مما تعرض له كيركجور واتهامه بالهرطقه(*) .

وربما أهم الأسباب التي دعت إلى اصطناع الأسلوب الرمزي:

أ) لطافة المعنى حيث بلغ المعنى الغاية في اللطافة، أثَّر على الشعور الإنساني حتى أصبح من يحس بهذا الشعور لا يستطيع إبراز المعنى طبقا للحالة التي عنت له في داخله؛ وذلك لتعذر العبارات الظاهرة وعدم إسعافها لصاحب الوجدان المفعم بالمعنى الوجداني.

ب) حفاظًا على أسرارهم من أن يطلع عليها غيرهم.

ج) اختلاف أحوال الصوفية ومذاقتهم(٢).

والتوحيدي يؤكد على أن أهل التصوف لهم لغة خاصة، ولغتهم مليئة بالإيحاءات والإيماءات، "أما الإيحاء الذي في الإيماء فَسِرٌّ حَرُمَ إعلانه في الثاني لما وجب كتمانه في الأول، وأما الإيماء الذي في الأنباء فلمشافهة بدت في عرضه من الحق..."(١).

(*) وعلى درب هذه الإدانة سار ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين الذي قال: "زنادقة الإسلام ثلاثة ابن الراوندي، والتوحيدي، وأبو العلاء المعري. وشرهم على الإسلام التوحيدي لأنهما صرحا وهومجمج ولم يصرح"، ومع ابن فارس وابن الجوزي سار الحافظ الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذي رمى التوحيدي بسوء الاعتقاد والضلال والإلحاد، وعلى ذات الدرب سار الخوانساري محمد باقر الموسوي. محمد عمارة: أبو حيان التوحيدي بين الزندقة والإبداع، ص ٥-٦

محمد بركات محمد : أبو الحيان التوحيدي مغتربًا ، ص ٨٨ – ٨٩ ١

فقد اصطدم بالكنيسه البروتستانتيه الدنماركيه التى يعتبرها سادره في الضلال غارقه في الزيف زاخره بالفساد والانحلال ...فكان من الطبيعي ان تؤدى به اراؤه الى التصادم مع الكنيسه الرسميه بوصفها مؤسسه جامده ، وقد جلب عليه ذلك سخط الكنيسه واتهامه بالهرطقه . فؤاد كامل : نصوص مختاره من التراث الوجودى ، ص ٢٧ . (*)

إبراهيم تركي: التصوف الإسلامي أصوله وتطوراته ، دار الكتب القانونية، مصر ، ٢٠٠٩ م ، ص ٥٥. ٢

وقد اوضح ايضا ان السبب فى الايماء ان العين الفت المحدودات والاذن تحد بالمرسومات والقلب منقاد الى ما جرت عليه العاده لذا فكل ما يعلو عن هذا كله فلا يخبر عنه الا بالايماء

فقد ذكر التوحيدي أن البعد عن الدنيا بكل ما فيها من متع وملذات ومحاولته لترويض نفسه وهذا سوف يتحقق بالادبار و الاقبال اى الادبار عن النفس الاماره بالسوء و الاقبال على النفس الشريفه الفاضله ، وهذا هو الطريق للحضور[٢] مع الله قائلا: "يا هذا تجمع عن تفرقك، وتفرق في تجمعك، أتدري ما أرى تفسير هذا اللغز؟ أي أحضر عن غيبتك، وتغيب عن حضورك"[٣] .

فالمنازل الرفيعة التي يرتقي إليها الصوفية لن تُنال إلا بالتخلي "هيهات هيهات، لن تنال المقامات والدرجات إلا برفض الهنات وما دون الهنات"[٤]. الانسان لن يفوز بالقرب من الله الا بالبعد عن كل ما كان غيره.(مصطلح التخلى)

فهو يرى أن موجب الربوبية ومقتضي العبودية لا يُنال إلا حينما يقوم الإنسان "ويتبرأ من حوله وقوته، ومن علمه وبصيرته، ومن جلده ونجدته، ومن أنفته وشيمته، ويلوذ بمن هو أولى به، ويستمد ممن هو أملك له، ويستأمر إلى من هو أقدر عليه، ويلقي مقاليده كلها إليه"[٥].

ويذكر التوحيدي أن لا بد للعبد من استيعاب العبودية حتى يصل إلى الحرية وحينها يشاهد العجائب ويرى الغرائب.

ولكن التوحيدي لم يدعُ إلى ترك الدنيا جملة، ولكن عدم جعلها أكبر همنا والتفكر في الآخرة والعمل لها، فهو يصف الدنيا بأنها دار ممر واجتياز وأيامها محدودة، أما الآخرة فدار مقر واعتزاز وأيامها ممدودة.

لذا كان يدعو إلى المبالغة في الطاعات والمداومة على العبادات والحذر من الآفات ورفض الرذائل كلها والتحلي بالفضائل ويدعو إلى الصبر في هذا الطريق؛ لأن هذا

---

١ أبو حيان التوحيدي : الإشارات الإلهية، ص ٥٩

٢ الحضور هو: تنبه خاص يطرأ على قلب العبد إلى أمر معين فيحضر معه، وفي هذه الحال تفترض الغيبة عما سوى هذا الأمر. سعاد الحكيم : المعجم الصوفي ، دندرة للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١ م ،ص ٣٢٨ .

٣ أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية، ص٤٧ .

٤ أبو حيان التوحيدي : مرجع سابق، ص ٣٢ .

٥ أبو حيان التوحيدي ، المقابسات ، ص ٢٠٠ .

لا يُنال إلا بتعب الجسد وهجران الراحة والبراءة من كل عائق، كما دعا إلى عدم التعجل في طلب المعرفة، بل لا بد من التأني لأن هذا يتماشى مع الطبيعة البشرية، وقد وصف التعجل بعنوان الفوت وآية الحسرة وعلامة الأسف، والمعرفة الحقة هي معرفة الله وغاية هذه المعرفة الاتصال بالمعروف.

وقد أوضح في الإشارات الجزاء الذي سوف يناله الإنسان من إتباع هذا الطريق وأهمها السمعة الجيدة في الدنيا ودخول الجنة والخلود بها.

ويقترب مره اخري كيركجور من التوحيدي فقد كان طريق الذات للاتصال بالمطلق التخلى عن العالم وهجره ونبذ كل ما سوى الله ، فلكى يقيم علاقه مطلقه مع غايه مطلقه عليه اولا ان يبدأ بممارسه نبذ الغايات النسبيه اما قبل ذلك فلن يستطيع اقامه مثل هذه العلاقه لان الفرد قبل ذلك يكون الى حد ما مباشرا كما يكون مستغرقا تمام فى الغايات النسبيه (١).

والقرب عبارة عن قلب حال الطالب وتغيره، قال الله تعالى لنبيه موسى: ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى، وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾(٢)، وهو ما أطلق عليه مسكويه في رده على التوحيدي الاصطناع؛ أي القرب من الله تعالى ولا يتم إلا بالسعي والرغبة والبعد عن مشاغل الدنيا، ووضح أنه لا شيء يمنع من الاصطناع، "بل الباب مفتوح والحجاب مرفوع"(٣)، وما يعوقه "أن يتشاغل بفضول عيشه الذي هو مستغنٍ عنه بما هو حي، وبالميل إلى لذات الحس التي تعوقه عن مطلبه وغايته ومنتهى سعادته"(٤).

وفي استعماله لمصطلح القرب يؤكد على استعماله الرمز، فهو لا يقصد به القرب المكاني لذا يوضح أنه منسوب إلى الله بحكم الاصطلاح والاتفاق ومنفي عنه بحق التنزيه ويحذر من الوقوف على اللفظ القصير الذي هو للعامة فتسحر به عن المعنى العريض الذي هو للخاصة.

---

١. امام عبد الفتاح ، كيركجور ، جـ ٢ ، ص٢٨١
٢. سوره طه: الآية ٤٠/ ٤١
٣. أبو حيان التوحيدي : الهوامل والشوامل ، ص ١٥٤
٤. أبو حيان التوحيدي : مرجع سابق ، ص ١٥٥

ولقد أوضح أنه من فضائل القرب من الله انكشاف الفضائل بأسمائها الخاصة وحدودها العامة وانكشاف الرذائل بأسمائها الخاصة ورسومها العامة وضرب مثال لذلك الشجاعة والجبن، الكرم واللؤم، الحلم والسفه، الجود والبخل.

وفى حديثه عن القلب يشبهه بانه اناء لله فينا وكان يتضرع الى الله ان يملأ هذا الاناء باليقين والخشيه والسكون والطمأنينه وخالص الذكر وكل ما من شأنه ان يعينه فى طريقه .

ولقد حفل كتاب الإشارات بالعديد من المقامات والأحوال الصوفية [*] ولفظ مقام والجمع مقامات ترد عند أبي حيان التوحيدي في نصوص كثيرة جدًا من كتاباته، وخصَّ كتابه الإشارات الإلهية بالنصيب الوفير من هذه النصوص، حيث ترد لفظة مقام بمعنى المكانة والمنزلة في ابتهالاته[١].

التوبة:

تعد التوبة أول المقامات في الطريق الصوفي أول منازل السالكين، وأول مقامات الطالبين، وهي أصل كل مقام ومفتاح كل حال[٢]، وقد أعلن التوحيدي في أكثر من موضع في الإشارات عن توبته ورجوعه عن كل ما لا يرضي الله، والعودة إلى الله والإقبال عليه فيقول: "إلى متى نشرد عنه ولا قوام لنا إلا به؟ إلى متى نكذبه عن أنفسنا وهو أعلم بنا منا؟ وإلى متى نعتصم بغيره وهو أقرب إلينا من حبل الوريد"[٣]، ويرى أن التوبة واجبة في كل حال ولا تترك التوبة في كل حال.

(*) يتحدث الصوفية عن شيء اسمه "حال" وعن شيء اسمه "مقام"، ويعتبرون الحال هو مقدمة للمقام ، فمثلا أول ما يبدأ الإنسان أن يشتغل بالذكر يصل إلى طمأنينة مؤقتة للقلب لا تلبث أن تزول، فهذا حال، فإذا تابع الإنسان الذكر وصل إلى طمأنينة دائمة للقلب، فهذا مقام. سعيد حوى : تربيتنا الروحية، دار السلام ، الطبعة السادسة، ١٤١٩ هـ ، ص ١٩١. واختلفت أقوال الصوفية في عدد المقامات والأحوال، فقد جعلها الطوسي سبع مقامات: التوبة، الورع ، الزهد ، الفقر، الصبر، التوكل، الرضا، والأحوال عشرة: المراقبة، القرب ، المحبة، الخوف ، الرجاء ، الشوق ، الأنس ، الطمأنينة، المشاهدة واليقين. الطوسي : اللمع في التصوف ، تحقيق/ طه عبد الباقي – عبد الحليم محود، دار الكتب الحديثة، ١٣٨٠ هـ ، ص ٦٨ .

١ . طيبة صالح الشذر : ألفاظ الحياة الثقافية في مؤلفات أبي حيان التوحيدي ،ص ٦٧٦

٢ . السهروردي : عوارف المعارف، دار المعارف ، القاهرة، ص ٤٤٢

٣ . أبو حيان التوحيدي : الإشارات الإلهية، ص٣٠

المحبة:

إن المحبة الحقيقية أساسها الزهد في النفع الشخصي، فإذا زهد الإنسان في الأشياء المادية ارتقى إلى مرتبة من المحبة الروحانية المبنية على تصور الكمال المطلق وهي محبة الله[١].

يصف التوحيدي حاله بأنه المحب الذي يسعى للتخلص من كل ما يشوبه وهو في طريق المحبة، قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[٢]، والمعنى الواضح هنا أن المحبة طريق متبادل بين العبد وربه، وهو ما ظهر عند التوحيدي أن الله هو الذي يسهل اللوذ به إذا أراد، وهو الذي يفرغ على القلوب محبته؛ أي أنه كان يرى أن طريق المحبة متبادل بين العبد وربه.

ويؤكد على أن الغيبة عن كل ما سوى الله والزهد في كل متاع الدنيا هو السبيل للوصول إلى المحبة في قوله: "أيها الباحث عن غيب هذه الشهادة، بلسان النسك والزهادة، تلقَّ محبته لك بروحك، وانعم بنسيم وده تجد راحتك... واخطط على قلبك بقلم العلم حقائق الحب بعلائق الوجد، متبرئًا من كل ما راق العين، واسترق السمع، واستعار المشاعر، وحال بينك وبين السرائر"[٣]، فقد كان حاله قريب من عشاق الصوفية الذين تعتريهم حالات الوجد الصوفي وأحوال ومواجيد صوفية مثل: "إلهي استزرتني فلما جئت حجبتني، دعوتني فلما أجبت حضرتني"[٤].

وتعود اصداء فكر التوحيدي تتكرر عند كيركجور فى حديثه عن المحبه حيث انها تقتضي من المحب الحقيقي الاينشغل الا بفكره واحده ، ومن شأن هذا الانشغال بالفكره الواحده ان يجعل من الانسان "فردا" استثنائيا منعزل عن القطيع متوحدا ازاء الله ، "وحدى ازاء الله وحده" هو الشعار الذى لم يفتأ كيركجور يردده طيله حياته [٥] . فلا مانع عند كيركجور ان تكون خافيا على الناس مادام ظاهرا بالنسبه لله .

١. جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ص ٤٣٩
٢. سوره المائدة: الآية ٥٤
٣. أبو حيان التوحيدي : الإشارات الإلهية، ص ٢٧٣
٤. أبو حيان التوحيدي : مرجع سابق ، ص٢٠
٥. فؤاد كامل : نصوص مختاره من التراث الوجودى ، ص ٣٣

ومن خلال عرض المواقف الوجوديه العديده التى تعرض لها التوحيدي والتى ادت الى اغترابه ونجاته التى كان سبيلها سلوك الطريق الصوفي يتأكد وجوديه التوحيدي ، حيث ان صلب التفكير الوجودى يقوم على المقابله بين " الوجود – لذاته " اى الانسان ، وبين " الوجود – فى ذاته " ولا مخرج من هذه المقابله الا بوجود – من اجل – ذاته ، ومن اجله كل وجود اخر اى الالوهيه . وحين يحقق الانسان مبدئيات الموقف الوجودى ، اى حين يصوب تفكيره تجاه ذاته المتشخصه الوحيده المحاطه بالقلق والاغتراب والتناهي والعدم ، فالارجح ان يلتجئ فورا الى الموجود المتعالى " الله" .[1]

1 يمنى طريف الخولي : الوجودية الدينية "دراسة في فلسفة باول تيليش " ، ص ٢٧ .

الخاتمة

- لاقى التوحيدي الحظ السيء في الرزق والعلاقات الاجتماعية والمكانة الاجتماعية، حتى إنه قد اتُّهِمَ بالزندقة؛ مما جعله يعاني من الغربة الاجتماعية والنفسية والوجودية.
- دفعته ظروفه التوحيدي إلى تغيير مساره، فقد انتهى الحال بالتوحيدي إلى طريق مضاد تمامًا للطريق الذي بدأ به حياته ، فبعد أن كان يريد المال والجاه والمكانة العلمية والأدبية انتهى به المطاف إلى النظر للدنيا كأنها عدو يجب ذبحها عند الظفر بها لأنك إن لم تذبحها ذبحتك.
- فالغربة التي عانى منها التوحيدي كانت غربه مكانيه (الوطن) غربه اجتماعيه (افتقاد الاهل والصاحب) غربه نفسيه (عدم وصول المكانة العلمية التي كان يستحقها) غربه وجوديه (غريب فى غربته)
- التوحيدي فيلسوف وجودي بالنظر الى الوجوديه انها الاساس الفلسفي للنظر فى الموقف الانسانى ، شديد القرب من الفلاسفة الوجوديين المؤمنين أمثال كيركجورد، بول تيليش، جبرييل مارسيل سواء فى المواقف التى تعرضوا لها في حياتهم أو ارائهم فى بعض المسائل الوجوديه كالقلق واليأس وغيرها أو فى طريقهم للخلاص من المعاناه فقد وجدوا ان الخلاص من أزمات الوجود الإنساني والسعادة الحقيقية تتحقق بالوقوف أمام الله ، وكذلك التوحيدي الذي انتهى إلى التصوف منهجًا وطريقًا.
- التوحيدي خرج من مأزقه الانسانى وقهر اغترابه بوثبه ايمانيه لجأ فيها الى الله حيث وجد أن القرب الإلهي سبيل الخلاص من غربته والتي كان سببها الضياع والمعاناة التي لاقاها من مجتمعه والتي استمرت أكثر من ستين سنة.
- وفى النهايه يمكن القول ان التوحيدي مثله مثل كيركجور توصل الى ان الوجود الحقيقي لا يتحقق الا بالوجود امام الله اى الوجود الذى يرتبط بالمتعالي والمطلق .

التوصيات:

- كشفت هذه الدراسة عن وجود ارهاصات للفكر الوجودى عند التوحيدي كنموذج للفلاسفه المسلمين وهذا ان دل على شئ فهو يؤكد على ان الوجوديه كتيار فكرى يهتم بالوجود الانسانى وانه كان موجود فى الفكر الاسلامى ودعم بالجانب الدينى ، مما يفتح الباب امام الدراسات للبحث المقارن بين المبادئ والافكار الوجوديه وافكار فلاسفه الاسلام .
- بالنظر الى الشباب نجد ان معظمهم يعيش الاغتراب وهو ما يكشفه عزوفهم عن المشاركه فى قضايا المجتمع والانسحاب من الحياه الاجتماعيه وغيرها من الظواهر ، و ربما تتشابه ظروف حياتهم مع الظروف التى كان يعيش فيها التوحيدي، لذا فأن التركيز على الجوانب الوجوديه كالاغتراب واليأس والانتحار لدى التوحيدي وكيفيه تعامله مع الازمات ونجاته يعتبر نموذج لدعم الشباب خاصه فى ظل الاوضاع والظروف الراهنه فى المجتمع العربي بالأفكار والحلول .

المصادر:

١- القرآن الكريم.

٢- أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية، حقق وقدم له د/ عبد الرحمن بدوي، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة ، جـ١٩٥٠،١م .

٣- التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، مراجعة/ هيثم خليفة الطعيمي، الجزء الأول، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠١١م.

٤- أبو حيان التوحيدي: البصائر والذخائر، حققه وعلق عليه د/ أحمد أمين، د/ السيد أحمد صقر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى،١٩٥٣م.

٥- أبو حيان التوحيدي: الصداقة والصديق، تحقيق وتعليق د/ إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٨م.

٦- أبو حيان التوحيدي: مثالب الوزيرين "أخلاق الصاحب بن عباد وابن العميد"، تحقيق د/ إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق.

٧- أبو حيان التوحيدي وابن مسكويه: الهوامل والشوامل، مؤسسة هنداوي سي أي سي، ٢٠١٧م.

٨- جان بول سارتر: جلسة سرية، ترجمة د/ مجاهد عبد المنعم، مقدمة د/ زكريا إبراهيم، دار النشر المصرية.

٩- جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، الجزء الثاني، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م .

١٠- جون ماكوري: الوجودية، ترجمة د/إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة د/ فؤاد زكريا، عالم المعرفة، ١٩٨٢م.

١١- السهروردي: عوارف المعارف، دار المعارف، القاهرة.

١٢- الطوسي: اللمع في التصوف، تحقيق/ طه عبد الباقي – عبد الحليم محود، دار الكتب الحديثة، ١٣٨٠ هـ.

المراجع العربية:

١- إبراهيم تركي: التصوف الإسلامي أصوله وتطوراته، دار الكتب القانونية، مصر، ٢٠٠٩ م

٢- إحسان عباس: أبو حيان التوحيدي، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٥٦ م.

٣- أحمد عبد الهادي: أبو حيان التوحيدي "فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.

٤- إمام عبد الفتاح: كيركجورد رائد الوجودية، الجزء الثاني، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ،١٩٨٦م.

٥- جمال الغيطاني: خلاصة التوحيدي "مختارات من نثر أبي حيان التوحيدي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، ١٩٩٥ م.

٦- الحبيب شبيل: المجتمع والرؤية "قراءة نصية في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٧- حسن حماد: الإنسان المغترب عند إريك فورم، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، ٢٠٠٥ م.

٨- زكريا إبراهيم: أبو حيان التوحيدي "أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء"، المؤسسة المصرية العامة.

٩- زكريا إبراهيم : مشكلة الإنسان، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة.

١٠- سعاد الحكيم: المعجم الصوفي، ندرة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

١١- سعيد حوى: تربيتنا الروحية، دار السلام، الطبعة السادسة، ١٤١٩ هـ.

١٢- عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،١٩٨٠ م.

١٣- عزت السيد أحمد: فلسفة الفن والجمال عند التوحيدي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ، ٢٠٠٦ م.

١٤- فؤاد كامل : نصوص مختاره من التراث الوجودى ، الهيئه المصريه العامه للكتاب ، ١٩٨٧ م.

١٥- طيبة صالح الشذر: ألفاظ الحياة الثقافية في مؤلفات أبي حيان التوحيدي، ١٩٨٩ م.

١٦- مجاهد عبد المنعم: كيركجارد، مكتة دار الكلمة، ٢٠١٦م.

١٧- محمد بركات محمد: أبو حيان التوحيدي مغتربًا، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت،٢٠٠١ م.

١٨- محمد عمارة: أبو حيان التوحيدي بين الزندقة والإبداع، نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٧ م.

١٩- وسيم إبراهيم: نظرية الأخلاق والتصوف عند أبي حيان التوحيدي، دار دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٢٠- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، القاهرة، ١٩٣٦، جـ ١٥.

٢١- يمنى طريف الخولي: الوجودية الدينية "دراسة في فلسفة باول تيليش"، مؤسسة هنداوي سي أي سي،٢٠١٧ م.

المراجع الأجنبية:

1- Caputo, J. D.: "How to Read Kierkegaard", New York ,London, W. W. Norton and Company, 2008.
2- Friedman, M.: The World Of Existentialism, Humanities Press, New Jersey, 1991.
3- Moor, C. E.: "Provocations, Spiritual Writings of Kierkegaard", The Bruderhof Foundation. Inc. USA, 2002.
4- Walsh, S.: "Kierkegaard Thinking Christianly in an Existential Mode, Oxford University Press Inc., New York, 2009.